

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[404] ومن الناس إنَّ الأ سميع بصير(1). التفسير خمسة تعاليم بذّاعةً ومهمّة: بما أنّ الآيات السابقة تناولت بحث التوحيد والشرك وآلهة المشركين الوهميّة. وبما أنّ بعض الناس قد اتّخذوا الملائكة أو بعض الأنبياء آلهة للعبادة، فإنّ أوّل الآيات موضع البحث تقول بأنّ جميع الرسل هم عباد الأ وتابعون لأمره: (الأ يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس). أجل، إختار الأ من الملائكة رسلا كجبرئيل، ومن البشر رسلا كأنبيا الأ الكبار. و "من" هنا للتبعيض، وتدلّ على أنّ جميع ملائكة الأ لم يكونوا رسلا إلى البشر، ولا يناقض هذا التعبير الآية الأولى من سورة فاطر، وهي (جاعل الملائكة رسلا) لأنّ غاية هذه الآية بيان الجنس لا العموم والشمولية. وختام الآية (إنّ الأ سميع بصير) أي إنّ الأ ليس كالبشر، لا يعلمون أخبار رسلهم في غيابهم، بل إنّّه على علم بأخبار رسله لحظة بعد أخرى، يسمع كلامهم ويرى أعمالهم. وتشير الآية الثّانية إلى مسؤولية الأنبياء في إبلاغ رسالة الأ من جهة، ومراقبة الأ لأعمالهم من جهة أخرى، فتقول: (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) إنّّه يعلم ماضيهم ومستقبلهم (وإلى الأ ترجع الأمور) فالجميع مسؤولون في ساحة قدسه. ليعلم الناس أنّ ملائكة الأ سبحانه وأنبياءه (عليهم السلام) عباد مطيعون له مسؤولون بين يديه، لا يملكون إلّاّ ما وهبهم من لطفه، وقوله تعالى: (يعلم ما بين أيديهم) إشارة إلى واجب ومسؤولية رسل الأ ومراقبته سبحانه لأعمالهم، كما جاء في _____ 1 - تفاسير القرطبي، وأبو الفتوح الرازي، والفخر الرازي، وروح المعاني.